الاستفهام

ادوات الاستفهام

١ – الهمزة

الهمزة اوسع ادوات الاستفهام استعمالا فهي تستعمل للتصور والتصديق.

والتصور هو ما يجاب عنه بالتعيين نحو (أمحمد عندك أم خالد؟) فتجيب (محمد) أو (خالد).

والتصديق هو ما يجاب عنه بـ (نعم) أو (لا) نحو: (أحضر القاضي؟) فتجيب بـ (نعم) أو (لا) بخلاف ادوات الاستفهام الاخرى فانها تستعمل للتصور خاصة اذ هي لا يجاب عنها بـ (نعم) أو (لا) بل بالتعيين. تقول: من حضر؟ فيقال: سعيد. وتقول: كيف اصبحت؟ فيقال: بخير. ما عدا (هل) و (أم) المنقطعة فانها تستعملان للتصديق خاصة[1]. ولا تستعملان للتصور. تقول: هل أعددت الطعام؟ فيقال: نعم. ولا يجوز أن يقال: هل محمد مسافر أم خالد؟

وقد تخرج الهمزة عن الاستفهام الحقيقي الى معان أخرى اشهرها:

١ – التسوية:

نحو قوله تعالى: ﴿ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون– البقرة ٦﴾ وقوله: ﴿سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون– الاعراف ١٩٣﴾.

ولا تختص بها الهمزة الواقعة بعد كلمة (سواء) «بل كما تقع بعدها تقع بعد (ما ابالي) و (ما ادري) و (ليت شعري) ونحوهن. والضابط انها الهمزة الداخلة على

---

(١) انظر المغني ٢/ ٣٤٩، همع الهوامع ٢/ ٦٩.

جملة يصح حلول المصدر محلها نحو (سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم)[٢] ونحو: (ما ابالي أقمت أم قعدت)»[٣].

وهمزة التسوية لا يراد بها الاستفهام الحقيقي بل هي وما بعدها على معنى الخبر لا الانشاء فانك اذا قلت: (سواء عليّ أحضرت أم غبت) كان المعنى سواء عليّ حضورك وغيابك. فهي لا تستحق جوابا "لان المعنى معها ليس على الاستفهام وان الكلام معها قابل للتصديق والتكذيب لانه خبر"[٤].

والذي يبدو لي ان ثمة فرقا في المعنى بين قولنا (سواء عليّ أحضرت أم غبت) و (سواء عليّ حضورك وغيابك) وأنهما لا يتطابقان تماما. فان قولك (سواء عليّ أحضرت أم غبت) معناه انك لا تهتم بجواب هذا الاستفهام ولا تُعنى به فان الجواب بأحد الامرين مستوٍ عندك ونقيضه بخلاف قولك (سواءٌ عليّ حضورُك وغيابك) فانك ذكرت الاستواء على سبيل الخبر نصاً.

فما بعد همزة التسوية خبر تأولا لا نصا لانه تساوي عندك جواب الامرين. ومن هنا دخل معنى الخبر، واما الثانية فهي خبر نصا لأنها اخبار بتساوي الامرين انفسهما. ونحوه قولك (لا ابالي أفاز أم خسر) أي انك لا تبالي بجواب هذا الاستفهام على اية حال كان فلا داعي للاجابة عنه.

ولا يصح وقوع (أو) بعد همزة التسوية بل لا تقع الاّ (ام)[٥] فلا تقول (سواء عليّ أحضرت أو غبت) بل لابد أن تقول (سواء عليّ أحضرت أم غبت). قال تعالى: ﴿سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص – ابراهيم ٢١﴾، وذلك لان المعنى يقتضي (أم) لا (أو). وذلك ان جواب قولك: (أكَتبَ أو قرأ؟) هو: (نعم) أو (لا)، والمعنى أفَعلَ احدهما؟

وجواب (أكَتبَ أم قرأ؟) هو التعيين، فتقول: (كتب) أو تقول: (قرأ).

---

(٢) المنافقون ٦.
(٣) المغني ١/ ١٧.
(٤) المغني ١/ ٤١.
(٥) المغني ١/ ٤٣.

وبهذا تعلم ان في قولنا (أكتب أم قرأ) أمرين متعادلين يسأل عنها. وأما قولك (أكَتَبَ أو قرأ؟) فليس فيه امران، بل هو أمر واحد يسأل عنه أي أفَعل احدهما؟ والتسوية لا تكون الاّ بين أمرين لا في امر واحد ولذا امتنع أن يساوى بـ (أو) بعد الهمزة.

٢- الانكار:

وذلك كقوله تعالى ﴿أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة اناثا- الاسراء ٤٠﴾.

والانكار الواقع بعد الهمزة على قسمين:

١) انكار ابطالي وهو انكار على من ادّعى وقوع الشيء والحق انه غير واقع وذلك كالآية السابقة فانهم ادّعوا أن الملائكة بنات الله فأنكر ذلك عليهم وأبطل قولهم. ونحوه قوله تعالى ﴿فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون- الصافات ١٤٩﴾.

والثاني: الانكار التوبيخي: ويقتضي أن المخاطب فعل فعلا يستلزم توبيخه عليه وتقريعه، فالامر واقع في الانكار التوبيخي بخلاف الابطالي. ومن الانكار التوبيخي قوله تعالى: ﴿أتعبدون ما تنحتون- الصافات ٩٥﴾ ﴿أتأتون الذُّكران من العالمين- الشعراء ١٦٥﴾.

وهذان الانكاران مختصان بالهمزة.

٣- التقرير:

وهو اثبات المستفهم عنه، قيل ويختص بالوقوع بعد النفي "سواء كان بما أو لم أو ليس أو لمّا"[٦]. نحو ﴿ألم أقل لك انك لن تستطيع معي صبرا- الكهف ٧٥﴾ ﴿ألم يجدك يتيما فآوى- الضحى ٦﴾ ﴿أليس الله بكاف عبده- الزمر ٣٦﴾.

وقيل لا يختص بالنفي بل يقع بعد الاثبات والنفي لان المقصود بالتقرير "حملك المخاطب على الاقرار والاعتراف بأمر قد استقر ثبوته أو نفيه"[٧].

(٦) جواهر الادب ١٤.

(٧) المغني ١/ ١٨.

فالنفي نحو ما ذكرنا ، والاثبات نحو (أضربت محمدا؟) أو (أأنت ضربته؟) اذا استقر عندك أنه الضارب .

٤- التهكم :

نحو قوله تعالى : ﴿أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا- هود ٨٧﴾ .

٥- الامر:

نحو قوله تعالى : ﴿وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين أأسلمتم- آل عمران ٢٠﴾

أي : أسلِموا .

٦- التعجّب :

وذلك نحو قوله تعالى : ﴿قالت يا ويلتا أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا إنّ هذا لشيء عجيب- هود ٧٢﴾ وقوله : ﴿أجَعل الآلهة الهاً واحدا إنّ هذا لشيء عجاب- ص ٥﴾ .

٧- الاستبطاء :

نحو قوله تعالى : ﴿ألم يأنِ للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله- الحديد٦﴾[٨] .

٨- الاستبعاد :

وذلك نحو قوله تعالى : ﴿أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرّفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون- البقرة ٧٥﴾ .

٩- التحذير:

وذلك كقوله تعالى : ﴿وما محمد الاّ رسول قد خلت من قبله الرسل أفإنْ مات أو قُتل انقلبتم على أعقابكم- آل عمران ١٤٤﴾

---

(٨) انظر لهذه المعاني : المغني ١/ ١٧- ١٨ ، الهمع ٢/ ٦٩ ، جواهر الادب ١٤- ١٥ .

وقال في سورة الشعراء : ﴿انه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون– ٤٩﴾ بزيادة اللام على سوف (فلسوف) زيادة في التوكيد. وهي نظيرة ذكر الهمزة ههنا وحذفها ثَم.

٨– قال في سورة الاعراف : ﴿قالوا إنّا الى ربنا متقلبون– ١٢٥﴾ وقال في سورة الشعراء : ﴿قالوا لا ضير إنّا الى ربنا متقلبون– ٥٠﴾ بزيادة (لا ضير) زيادة في التبكيت وعدم الاهتمام بعذاب فرعون. وهذه الزيادة تناسب الجو والسياق.

هذه نماذج من الفروق بين السياقين. فأنت ترى أن ذكر الهمزة في آية الشعراء هو المناسب لسياقها ، وحذفها من الاعراف هو المناسب لسياقها. فسياق الشعراء سياق اطالة وتحدّ ومحاجّة ومبالغة في الخصومة اكثر ممّا هو في الاعراف فرصد لكل سياق ما يناسبه من الالفاظ.

٢– هل

هي مختصة بالتصديق فيجاب عنها بنعم أو لا كما سبق ذكر ذلك. وتخرج (هل) عن الاستفهام الحقيقي الى معان أخرى أشهرها :

١– الامر نحو قوله تعالى : ﴿فهل انتم منتهون– المائدة ٩١﴾ أي انتهُوا.

والامر هنا ليس امرا محضا بل هو أمر مصحوب باستفهام ، أي : ألا يكفي ذلك لان تنتهوا ، ففيه تهييج للانتهاء. ونحو: ﴿فهل انتم مسلمون– هود ١٤﴾.

٢– التمني :

نحو ﴿فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا– الاعراف ٥٣﴾ ﴿فهل الى خروج من سبيل– غافر ١١﴾.

٣– العرض :

نحو قوله تعالى : ﴿قال هل انتم مطّلعون. فاطّلع فرآه في سواء الجحيم– الصافات ٥٤ ، ٥٥﴾ بمعنى : ألا تطّلعون. ونحو ﴿هل لك الى أن تَزكّىٰ– النازعات ١٨﴾ ونحو ﴿هل أتبّعك على أن تعلّمني ممّا عُلّمت رشدا– الكهف ٦٦﴾.

١٠ – التحذير:

نحو ﴿فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الارض وتقطّعوا أرحامكم – محمد ٢٢﴾ ونحو ﴿قال هل عسيتم إن كُتب عليكم القتال ألاّ تقاتلوا – البقرة ٢٤٦﴾.

١١ – بمعنى قد:

نحو قوله تعالى: ﴿هل اتى على الانسان حين من الدهر – الانسان ١﴾.

وسنتكلم على هذا المعنى بعد قليل.

الى غير ذلك من المعاني.

ونود أن نذكر هنا أن هذه المعاني ليست معاني مجردة من الاستفهام، بل يشوبها كلها معنى الاستفهام. فالتمني والنفي والامر وغير ذلك من المعاني مشوبة بالاستفهام فلا تكون للنفي المجرد أو الامر المجرد أو التمني المجرد. وسنعرض لبعض المعاني موضحين الفرق بين المعنى الاصلي والمعنى المشوب باستفهام.

هل والهمزة

تفترق (هل) عن الهمزة من وجوه اهمها:

١ – اختصاصها بالتصديق في حين ان الهمزة تكون للتصور والتصديق. وعلى هذا لاتأتي (أم) المعادلة مع (هل) بخلاف الهمزة فلا تقول (هل محمد مسافر أم خالد؟) بل (أمحمد مسافر أم خالد؟).

٢ – اختصاصها بالاثبات فلا تدخل على النفي تقول: (هل حضر اخوك؟) و(هل اخوك مسافر؟) ويمتنع أن تقول (هل لم يحضر أخوك؟) و(هل ليس اخوك حاضرا؟) بخلاف الهمزة. قال تعالى ﴿الم أقل لكم إني اعلم غيب السماوات والارض – البقرة ٣٣﴾؛ قال: ﴿أليس منكم رجل رشيد – هود ٧٨﴾ وقال ﴿ألن يكفيكم أن يُمدكم ربكم – آل عمران ١٤٢﴾ وقال: ﴿الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير – الملك ١٤﴾.

٣- تخصيصها الفعل المضارع بالاستقبال نحو (هل تسافر؟). ويمتنع أن تقول: (هل يقرأ الآن؟) و (هل تظنه قائما؟) لان ذلك للحال بخلاف الهمزة فانها تكون للحال والاستقبال تقول (أيكتب الآن؟) و (أتظنه قائما؟) و (أيسافر غدا؟).

٤- انها لا تدخل على الشرط فلا تقول (هل إن سافر سافرت معه؟) بخلاف الهمزة فانه يصح أن تقول (أإن سافر سافرت معه؟) قال تعالى: ﴿أفإن مات أو قُتل انقلبتم على اعقابكم- آل عمران ١٤٤﴾ وقال ﴿أإذا كنّا ترابا أإنّا لفي خلق جديد- الرعد ٥﴾ وقال ﴿أإن ذُكّرتم بل انتم قوم مسرفون- يس ١٩﴾.

٥- انها لا تدخل على (انّ) فلا تقول (هل انه شاعر؟) بخلاف الهمزة. قال تعالى: ﴿أإنك لأنت يوسف- يوسف ٩٠﴾ وقال: ﴿أإنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى- الانعام ١٨﴾.

٦- انها لا تدخل على اسم بعده فعل اختياراً فلا تقول (هل خالد يرجع؟) ولا (هل خالداً اكرمت؟) بخلاف الهمزة. قال تعالى: ﴿قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون- يونس ٥٩﴾، وقال: ﴿أفأنت تُسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون- يونس ١٢﴾ وقال ﴿أفغير دين الله يبغون- آل عمران ١٨٣﴾.

٧- انها تقع بعد العاطف لاقبله تقول (وهل) أو (فهل) أو (ثم هل). قال تعالى: ﴿فهل ينتظرون الاّ مثل ايام الذين خلوا من قبلهم- يونس ١٠٢﴾ بخلاف الهمزة فانها تقع قبل العاطف. قال تعالى: ﴿أفتطمعون أن يؤمنوا لكم- البقرة ٧٥﴾ وقال: ﴿أوَلو كان آباؤكم لا يعلمون شيئا- المائدة ١٠٤﴾ وقال: ﴿أثم اذا ما وقع آمنتم به- يونس ٥١﴾.

٨- انها تأتي نافية ولذلك تقع بعدها (الاّ). قال تعالى: ﴿هل ينظرون إلاّ تأويله- الاعراف ٥٣﴾ أي ماينظرون الا تأويله: وقال: ﴿هل يُهلَك الاّ القوم الظالمون- الانعام ٤٧﴾ و﴿هل جزاء الاحسان الاّ الاحسان- الرحمن ٦٠﴾ أي: ما جزاء الاحسان الاّ الاحسان، بخلاف الهمزة فانها لاتأتي لهذا المعنى فلايقال (أحضر الاّ محمد).

فان قوة التبكيت وشدة التقريع واضحة في السياق فاستعمل لذلك (هل) ولم يستعمل الهمزة.

ومن هذا الباب قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم— الصف ١٠-١٣﴾ فان فيها من شدة التشويق والرحمة بالمؤمنين والاخذ بيدهم ما ليس في حاجة الى بيان.

ونحوه قوله تعالى على لسان اخت موسى: ﴿هل ادلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون— القصص ١٢﴾ فان فيها من اللهفة في العرض مالا يخفى.

فدل ذلك على ان (هل) أقوى من الهمزة والله اعلم.

أم وأو:

مر هذا البحث في باب العطف وسنذكر منه الآن بصورة موجزة ما يتعلق بالاستفهام. تقول: (أمحمد عندك أم خالد؟) والجواب يكون بالتعيين فتقول (محمد)، أو تقول: (خالد). وتقول: (أمحمد عندك أو خالد؟) فتجيب بـ (نعم) أو (لا)، والمعنى: أعندك احدهما؟

ومن هنا يتبين أنه لا يجوز استعمال (أم) المعادلة بعد (هل) لانها لا تستعمل للتصور بخلاف (أو) فانه يجوز استعمالها بعدها وبعد الهمزة. قال تعالى: ﴿هل تُحسّ منهم من احد أو تسمع لهم ركزاً— مريم ٩٨﴾ والجواب: (لا). وقال: ﴿هل ينصرونكم أو ينتصرون— الشعراء ٩٣﴾ والجواب: (لا).

جاء في (كتاب سيبويه): "تقول: ألقيت زيداً أو عمراً أو خالداً؟) أو تقول: (أعندك زيد أو خالد أو عمرو؟) كأنك قلت: أعندك احد من هؤلاء وذلك لانك لما قلت: أعندك أحد هؤلاء لم تدّع أن احداً منهم ثَم ألا ترى أنه اذا أجابك قال: (لا) كما يقول إذا قلت: أعندك احد من هؤلاء...

فإذا قلت: (أزيد أفضل أم خالد؟) لم يجز ههنا الاّ (أم) لانك انما تسأل عن

صاحب الفضل ، الا ترى أنك لو قلت : (أزيد أفضل) لم يجز كما يجوز : (أضربت زيداً؟) فذلك يدلك ان معناه : (أيهما)"[٢١] .

و(أم) خاصة بالعربية ابتدعتها لهذا المعنى بخلاف (أو) كما ذكر برجشتراسر[٢٢] .

ومن الاستعمالات المختلفة بين (أم) و(أو) قولك (ماادري أأكل أم شرب) و (ماادري أأكل أو شرب) فان المعنى الاولى انك لاتدري أيهما فعل ، واما الثانية فمعناها انك لاترى فرقاً بين أكله وشربه. والمعنى انه اكل وشرب لكنه لم يستكمل واحداً منهما فلا يصحّ أن يُعَدّ اكله أكلا ولا شربه شرباً.

جاء في (الكتاب) : "وتقول (ماأدري أقام أم قعد) اذا أردت : ماادري أيّ ذاك كان. وتقول (ماادري اقام أو قعد) اذا أردت أنه لم يكن بين قيامه وقعوده شيء كأنه قال : لا أدّعي أنه كان منه في تلك الحال قيام ولاقعود أي لم أعدّ قيامه قياماً ولم يستبن لي قعوده بعد قيامه. وهو كقوله الرجل : (تكلّم ولم يتكلّم)"[٢٣] .

ومنه قولهم : (ماادري أأذن أو أقام) (ومادري أأذن أم أقام) فإذا قالها بـ (أو) كان معناه انه فعلهما ولم يستكمل واحداً منهما واذا قالها بـ (أم) فانك لاتدري ماذا فعل[٢٤] .

واما (أم) المنقطعة فتقع بعد (هل) نحو قوله تعالى ﴿قل هل يستوي الاعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور— الرعد١٦﴾ ومعناها ههنا (بل) وقد مرّ بحثها في باب العطف فلا داعي لاعادته.

٣- أم

ونعني بها ههنا (أم) المنقطعة وقد مرت في باب العطف وسنوجز القول فيها هنا. (أم) المنقطعة تفيد الاضراب على اية حال ، ثم هي قد تتجرد له وذلك نحو قوله تعالى : ﴿قل هل يستوي الاعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور— الرعد١٦﴾ والمعنى : بل هل تستوي الظلمات والنور.

(٢١) كتاب سيبويه ١/٤٨٧.
(٢٢) التطور النحوي ١٠٩-١١٠.
(٢٣) كتاب سيبويه ١/٤٨٣.
(٢٤) انظر الخصائص ٢/١٦٩ ، ٢/٢٦٦-٢٦٧.

وقد تتضمن معه استفهاماً فتكون بمعنى (بل) والهمزة[٢٥] ، وهذه التي تعنينا هنا . ومن هذا الضرب قوله تعالى ﴿أم عندهم خزائن ربك أم هم المسيطرون— الطور٣٧﴾ والمعنى : بل أعندهم خزائن ربك . وقوله : ﴿أم لكم أيمان علينا بالغة الى يوم القيامة— القلم٣٩﴾ والمعنى : بل ألكم أيمان علينا .

وقد يكون الاستفهام بها حقيقاً وذلك كقولك (هذا المنطلق احمد أم هو ابراهيم ؟) فقد ذكرت اولا انه احمد غير شاكّ في ذلك وقد بنيت كلامك على اليقين ثم ادركك الشك فأضربت عن كلامك الاول وسألت : بل أهو ابراهيم ؟

وقد يكون الاستفهام بها غير حقيقي فيراد به الانكار والتوبيخ ونحوهما وذلك نحو قوله تعالى ﴿أم له البنات ولكم البنون— الطور٣٩﴾ وقوله : ﴿ام عندهم الغيب فهم يكتبون— الطور٤١﴾ .

وللزومها معنى الاضراب لاتكون في اول الكلام مثل بقية ادوات الاستفهام بل لابد أن يسبقها كلام فلا تقول ابتداء (أم أنت فقير) ولا (أم فعل هذا) ، بل لابد أن يكون المتكلم ابتدأ بشيء ثم اضرب عنه الى شيء آخر وذلك نحو قوله تعالى : ﴿أفنجعل المسلمين كالمجرمين . ومالكم كيف تحكمون . أم لكم كتاب فيه تدرسون— القلم٣٥-٣٧﴾ .

٤- أنّـى

لها معنيان :

المعنى الاول ان تكون بمعنى (من اين) وذلك نحو قوله تعالى ﴿قال يامريم أنى لك هذا؟ قالت هو من عند الله— آل عمران٣٧﴾ أي : من اين لك هذا؟ وقوله ﴿أوَلما اصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنّـى هذا؟ قل هو من عند أنفسكم— آل عمران١٦٥﴾ والمعنى : من أين هذا؟ ولذلك كان الجواب : هو من عند انفسكم .

---

(٢٥) انظر المغني ١/٤٤-٤٥ .

والمعنى الآخر أن تكون بمعنى (كيف) وذلك نحو قوله تعالى ﴿قال أنّى يحيي هذه الله بعد موتها— البقرة ٢٥٩﴾ والمعنى: كيف يحييها بعد موتها. وقوله: ﴿قال ربّ أنّى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر— آل عمران ٤٠﴾ والمعنى: كيف يكون لي غلام وهذه حالي؟.

الخلاصة

وهي تختلف عن (من اين) و (كيف) لانها لاشتراكها في اكثر من معنى قد تحتمل عدة معان في آن واحد، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿أنّى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين. ثم تولّوا عنه وقالوا معلّم مجنون— الدخان ١٣-١٤﴾ فانها تحتمل ان يراد بها (من اين لهم الذكرى) وتحتمل أن يراد (كيف لهم الذكرى) أي كيف لهم ان يتذكروا؟ استبعاداً لحالتهم عن التذكر، واحسب ان المعنيين مرادان فإنه يراد السؤال عن الموضع الذي تأتي منه الذكرى، وعن حالتهم التي هم فيها، وكلاهما استفهام غير حقيقي. ولو قال (من اين لهم الذكرى) أو (كيف لهم الذكرى) لادّى ذلك معنى واحداً فجاء بـ (أنّى) ليجمع المعنيين معا.

وهي كذلك في غير الاستفهام فقد قالوا في قوله تعالى ﴿نساؤكم حرث لكم فائتوا حرثكم أنّى شئتم— البقرة ٢٢٣﴾ انه يحتمل عدة معان، فقد يحتمل أن المراد: من أين شئتم وكيف شئتم، ومتى شئتم[٢٦].

والمراد والله اعلم جميع هذه المعاني فلك أن تأتي امرأتك من أين شئت وكيف شئت ومتى شئت مادام ذلك لايخالف شرع الله.

فالغرض من العدول الى (أنّى) توسيع المعنى وزيادته فبدل ان يكرر عدة تعبيرات لافادة هذه المعاني جميعها جمعها بلفظ واحد والله اعلم.

ويبدو لي أنها تختلف عن (كيف) و (اين) من ناحية أخرى هي القوة في الاستفهام، وبناؤها اللغوي يوحي بذلك فالتشديد الذي فيها والمدة الطويلة في آخرها يرجحان ذلك، وقد لوحظ في كثير من الالفاظ في العربية ان بناءها اللغوي مشاكل لمعناها وذلك كما مر في (من) و (ما) و (لن) و (لا). فـ (من) مقيدة و

(٢٦) الكليات لابي البقاء ١/٣٢٨ طبعة دمشق/ ٩٧٤ منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي

(ما) مطلقة وقد عرفنا أن (ما) أوسع استعمالا من (من) لان (من) تكاد تكون مختصة بالعقلاء و (ما) تكون لغير العقلاء ولصفات من يعقل كما مر تقرير ذلك. و (لن) مقيدة و (لا) مطلقة وقد عرفنا أن (لا) اطول زمنا من (لن). و (أنّى) في آخرها مدة طويلة بخلاف (اين) و (كيف) وقد عرفنا أنها اوسع استعمالا منها فهي تجمع معنييها وربما زادت على ذلك معنى (متى) أوغيره. وهي اقوى استفهاما منها فان في قوله تعالى ﴿أنّى لك هذا﴾ من العجب ما ليس في قولنا (من أين لك هذا) وفي قوله تعالى (أنّى يكون لي غلام) من التعجب ماليس في (كيف). وعلى هذا فهي تختلف عن (من أين) و (كيف) من ناحيتين هما :

١ – السعة في ادائها المعنى.

٢ – القوة في الاستفهام.

والله اعلم.

٥ – أيـن

للسؤال عن المكان سواء كان استفهاماً حقيقياً نحو (اين اخوك؟) ام مجازياً وذلك نحو قوله تعالى ﴿أين شركائي الذين كنتم تزعمون— القصص ٧٤﴾ فانه لايسأل عن مكانهم حقيقة وانما هو لتبكيتهم.

٦ – أيّ

وهي بحسب ماتضاف اليه فان اضيفت الى مكان كانت مكاناً وان اضيفت الى زمان كانت زماناً وان اضيفت الى غيرهما كانت بحسب ما اضيفت اليه وذلك نحو قوله تعالى ﴿أيكم زادته هذه ايماناً— التوبة ١٢٤﴾ وقوله ﴿وما تدري نفس بأيّ ارض تموت— لقمان ٣٤﴾ وقوله ﴿وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلَب ينقلبون— الشعراء ٢٢٧﴾ ونحو (أيّ يوم سافر خالد) وما الى ذلك.

٧ – أيّان

يسأل بها عن الزمان المستقبل بمعنى (متى) غير أن (متى) تستعمل للماضي والمستقبل، وأيان تختص بالاستقبال[٢٧]. يقال: متى قدمت؟ ولا يقال أيان قدمت؟

(٢٧) انظر شرح الرضي ٢/ ١٣٠، كليات ابي البقاء ٩٠.

وأيان لاتستعمل الاّ للتفخيم والتعظيم. جاء في (شرح ابن يعيش): "وأيان لاتستعمل الاّ فيما يراد تفخيم أمره وتعظيمه نحو قوله تعالى ﴿أيّان مُرساها﴾[٢٨] أي: متى مُرساها؟ وقال تعالى ﴿يسأل أيان يوم القيامة﴾ [القيامة ٦]"[٢٩].

وجاء في (شرح الرضي على الكافية): "وأيان مختص بالامور العظام نحو قوله تعالى: ﴿أيّان مرساها﴾ و ﴿ايّان يوم الدين﴾[٣٠] ولايقال: أيّان نمت"[٣١].

٨- كم

للسؤال عن العدد نحو (كم يوما قضيت في مصر؟) ونحو قوله تعالى ﴿قال كم لبثت؟ قال لبثت يوما أو بعض يوم— البقرة ٢٥٩﴾.

٩- كيف

هي للسؤال عن الحال نحو (كيف أنت؟) وكيف جئت؟

قال سيبويه: "وكيف على أي حال"[٣٢].

والنحاة يعربونها خبراً للمبتدأ في نحو (كيف أنت) وخبراً للفعل الناقص في نحو (كيف كنت) ومفعولاً ثانياً في نحو (كيف ظننت محمداً). وفيما عدا ذلك يعربونها حالا نحو (كيف جئت)[٣٣] و (كيف نمت).

قال ابن هشام: "وعندي انها تأتي في هذا النوع مفعولاً مطلقاً ايضاً وان منه (كيف فعل ربك) اذ المعنى أيّ فعل فعل ربك؟ ولا يتجه ان يكون حالاً من الفاعل"[٣٤].

---

(٢٨) النازعات ٤٢.

(٢٩) شرح ابن يعيش ٤/١٠٦.

(٣٠) الذاريات ١٢.

(٣١) شرح الرضي على الكافية ٢/١٣٠.

(٣٢) كتاب سيبويه ٢/٣١١، انظر حاشية التصريح ١/١٧٦.

(٣٣) انظر المغني ١/٢٠٥.

(٣٤) المغني ١/٢٠٥-٢٠٦.

وغني عن البيان ان هذه المعاني التي تخرج اليها (كيف) مشوبة بالاستفهام وليست نفياً خالصاً أو نهياً خالصاً كما سبق تقرير ذلك.

١٠- ما

تكون للسؤال عن ذوات مالا يعقل واجناسه وصفاته وللسؤال عن صفة من يعقل[٣٦]. فمن الاول قولك (ماعندك؟) فيقال: كتاب. وتقول: مافي الدار؟ فيقال: ثعبان، أو فرس. وتقول: (مالونه؟) فيقال: اسود.

قال تعالى: ﴿وما تلك بيمينك ياموسى— طه ١٧﴾. وقال: ﴿ماولاّهم عن قبلتهم التي كانوا عليها— البقرة ١٤٢﴾.

وتكون لصفات من يعقل كأن تقول: (مامحمد؟) فيقال: كاتب أو شاعر.

جاء في (شرح ابن يعيش): "فإذا قلت: ما في الدار؟ فجوابه: ثوب أو فرس ونحو ذلك مما لايعقل. وإذا قلت: مازيد؟ فجوابه: طويل أو اسود أو سمين فتقع على صفاته"[٣٧].

وللسؤال عن حقيقة الشيء قال تعالى: ﴿وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا ومالرحمن— الفرقان ٦٠﴾. وقال: ﴿قال فرعون وما رب العالمين— الشعراء ٢٣﴾ فهذا سؤال عن حقيقته سبحانه.

وإذا جُرّت حذف الفها[٣٨]، قال تعالى: ﴿فيم أنت من ذكراها— النازعات ٤٣﴾، وقال ﴿لم تقولون مالا تفعلون— الصف ٢﴾ وقال ﴿عم يتساءلون— النبأ ١﴾.

وقد تخرج (ما) عن الاستفهام الحقيقي الى معان أخرى منها:

---

(٣٦) انظر المقتضب ٢/٥٢، البرهان ٤/٤٠٢، شرح ابن يعيش ٤/٥.

(٣٧) شرح ابن يعيش جـ ٤/٥، الكليات لابي البقاء ٣٣٦، حاشية التصريح ١/١٧٦.

(٣٨) انظر المغني ١/٢٩٨، شرح ابن يعيش ٤/٨.

١- التعظيم والتفخيم كقوله تعالى: ﴿الحاقة ماالحاقة — الحاقة ١، ٢﴾. وكقوله: ﴿واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين — الواقعة ٢٧﴾، ونحو قولك (محمد مامحمد؟).

جاء في (الكشاف): "ونحوه (ما) في قولك (زيد مازيد) جعلته لانقطاع قرينه وعدم نظيره كأنه شيء خفي عليك جنسه فأنت تسأل عن جنسه وتفحص عن جوهره كما تقول: ماالغول وما العنقاء؟ تريد أيّ شيء هو من الاشياء؟ هذا اصله ثم جرد للتفخيم"(٣٩).

٢- التحقير نحو (ماأنت والشعر) و (ماأنت والمجد) قال الشاعر:

ماأنت ويب أبيك والفخر(٤٠).

٣- الحث نحو قوله تعالى ﴿ومالكم لاتقاتلون في سبيل الله — النساء ٧٥﴾.

٤- الانكار نحو قوله تعالى ﴿ماولاّهم عن قبلتهم التي كانوا عليها — البقرة ١٤٢﴾.

٥- الالزام نحو قوله تعالى: ﴿قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين — البقرة ٩١﴾.

٦- الاستبعاد نحو قوله تعالى: ﴿ولئن اخرنا عنهم العذاب الى أمة معدودة ليقولُنّ ما يحبسه — هود ٨﴾ ونحو قوله ﴿ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم — النساء ١٤٧﴾.

وغير ذلك من المعاني.

ماذا

تأتي في العربية على أوجه:

احدها: أن تكون (ما) استفهامية و (ذا) اسم اشارة نحو (ماذا؟) أي: (ماهذا؟) ونحو (ماذاالسكوت؟) و (ماذا التواني؟) والمعنى: ما هذا السكوت؟ وما هذا التواني؟

---

(٣٩) الكشاف ٣/٣٠٤ وانظر حاشية التصريح ١/١٦٥، التصريح ١/١٦٦.

(٤٠) شرح الرضي على الكافية ٢/٥٩.

الثاني : أن تكون (ما) استفهامية و (ذا) موصولة بمعنى الذي نحو (ماذا فعلت؟) أي : ما الذي فعلت؟ وكقول لبيد :

ألا تسألان المرء ماذا يحاول أنحبٌ فيقضى أم ضلال وباطل

أي : ماالذي يحاول . ف (ما) مبتدأ بدليل إبداله المرفوع (نحبٌ) منها . و (ذا) موصول بدليل افتقاره الى الجملة . ولوكانت (ماذا) اسماً واحداً لكانت مفعولاً مقدما للفعل (يحاول) ولأبدل منها النصب .

الثالث : أن تكون (ماذا) كلها كلمة واحدة مركبة تفيد الاستفهام[41] كقولك (ماذا أكلت أفاكهةً أم لحماً؟) ف (ماذا) ههنا كلمة واحدة وهي مفعول به مقدم بدليل الابدال منها بالنصب .

فتبين من هذا أنك إذا قلت (ماذا صنعت؟) احتمل أن تكون (ماذا) مركبة من كلمتين : (ما) الاستفهامية و (ذا) الموصولة والمعنى : ما الذي صنعت؟ واحتمل أن تكون (ماذا) كلها كلمة مركبة واحدة والمعنى : ماصنعت؟

فإذا جعلتها اسمين أبدلت من (ما) بالرفع فتقول (ماذا صنعت أخاتم أم سوار؟) وذلك لان (ما) مبتدأ محله الرفع و (ذا) خبره والبدل من المرفوع مرفوع .

وإن جعلتها اسماً واحداً أبدلت بالنصب فقلت (ماذا صنعت أخاتماً أم سواراً؟) وذلك لان (ماذا) مفعول به مقدم محله النصب والبدل من المنصوب منصوب .

وجوابها مختلف أيضاً ، فالاصل في جواب الاولى أن يكون : الذي صنعته سوارٌ. وجواب الثانية أعني المركبة (صنعت سواراً) وكذلك إذا قلت (ماذا تفقد؟) على غير معنى التركيب فإن جوابه (الذي أفقده كتابٌ) لان معنى السؤال : ما الشيء الذي تفقده؟

---

(٤١) انظر المغني ١/ ٣٠٠- ٣٠١ ، الاشموني ١/ ١٥٩ ، التصريح ١/ ١٣٨ .

١١- متى

للسؤال عن الزمان نحو (متى السفر؟). وقد يخرج عن الاستفهام الحقيقي الى معان أخرى كالاستبطاء نحو قولك (متى يؤوب أبي) مستبطئاً عودته. والاستبعاد نحو قوله تعالى: ﴿ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين- يونس ٤٨﴾ وغير ذلك من المعاني.

١٢- من

للسؤال عمّن يعقل نحو: (من حضر؟) فتقول: خالد. قال تعالى: ﴿ومن أصدق من الله قيلا- النساء ١٢٢﴾ وقال ﴿ومن يرغب عن ملة إبراهيم الاّ من سفه نفسه- البقرة ١٣٠﴾.

وقد تخرج (من) عن الاستفهام الحقيقي الى أغراض أخرى.

كالنفي نحو قوله تعالى ﴿ومن يغفر الذنوب الاّ الله- آل عمران ١٣٥﴾[٤٣].

والدهشة والتعجب نحو قوله تعالى ﴿من بعثنا من مرقدنا- يس ٥٢﴾.

والالزام نحو ﴿من خلق السماوات والارض وأنزل من السماء ماء﴾.

والتشويق والترغيب نحو ﴿من ذا الذي يُقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة- البقرة ٢٤٥﴾.

الى غير ذلك من المعاني.

وقد تلحقها (ذا) كما مرّ في (ما) فتكون (من) اسم إستفهام و(ذا) اسم إشارة وذلك نحو (من ذا؟) و(من ذا واقفاً؟).

وقد تكون اسماً موصولاً نحو (من ذا أكرمت أمحمدٌ أم خالد؟).

وقد تكون كلمة واحدة مركبة بمعنى (من) نحو (من ذا أكرمت أمحمداً أم خالداً؟).

ويحتمل هذا المعنى قوله تعالى ﴿من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً- البقرة ٢٤٥﴾، ويحتمل أيضاً أن تكون (من) استفهاماً و(ذا) اسم إشارة بمعنى (من هذا

---

(٤٣) انظر المغني ١/ ٣٢٧.

فالسياق والجو مختلف في الآيتين فالاولى مقام رحمة ومسح على جراح المؤمنين ومقام عفو ومغفرة بعد معركة أحد. واما الثانية فمقام ترهيب وإنذار وتخويف وتحذير فجاء بـ (ها) التنبيه زيادة في التحذير والتنبيه وهو ما يقتضيه المقام.

واما الفرق بين (من) و(من ذا) فإنه نظير الفرق بين (ما) و(ماذا) فلا داعي لتكرار القول فيه.

مما تقدم يتبين أن مراحل التعبير من حيث قوته وتوكيده تتدرج كما يأتي:

من فعل؟

من ذا فعل؟

من ذا الذي فعل؟

من هذا الذي فعل؟

تقديم المستفهم عنه

مرّ بنا هذا في مواضع عدة في باب المبتدأ والخبر والمفعول به وغيرها، وذلك أنك تقول: أضربت محمداً؟ أأنت ضربت محمداً؟ و(أحضر محمد) و(أمحمد حضر؟) ونحو ذلك. ولا نريد أن نعيد الكلام على ذلك بصورة موسعة بل سنوجز القول فيه.

١- **تقديم الفعل**: إذا قدمت الفعل كنت مستفهماً عن أصل الحدث فإذا قلت: أحضر محمد؟ كنت مستفهماً عن حضور محمد، وكذا إذا قلت: (أجاءك رجل؟) كنت مستفهماً عن مجيء أحد من الرجال إليه.

٢- **تقديم المسند إليه على الفعل**: فإذا قلت (أمحمد حضر؟) كنت تعلم أن شخصاً ما حضر ولكنك تسأل أهو محمد؟ فالفرق بين قولنا: (أحضر محمد) و (أمحمد حضر) إننا في الاولى نسأل عن حضور محمد وليس في التعبير دلالة على أننا نعلم أن أحداً حضر. وأما في الثانية فإننا نعلم أن شخصاً ما حضر ولكننا لانعلم من هو.

وكذا قولك : (أجاءك رجل؟) و (أرجل جاءك؟) ففي الاولى أنت تسأل "هل كان مجيءُ أحد من الرجال اليه ، فإن قدمت الاسم فقلت : أرجل جاءك؟ فأنت تسأل عن جنس من جاءه : أرجل هو أم امرأة؟ ويكون هذا منك إذا علمت أنه قد آتاه آتٍ ولكنك لم تعلم جنس ذلك الآتي"(٤٥) .

ومن هذا قوله تعالى : ﴿أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم – الانبياء ٦٢﴾ فهم لايسألونه عن وقوع الفعل لانهم يعلمون أن الفعل وقع وقد شاهدوه ولكنهم يسألونه عن الفاعل .

جاء في (دلائل الاعجاز) : "وهذه مسائل لا يستطيع أحد أن يمتنع من التفرقة بين تقديم ما قدم فيها وترك تقديمه . ومن أبين شيء في ذلك الاستفهام بالهمزة . فإن موضع الكلام على أنك إذا قلت : أفعلت؟ فبدأت بالفعل كان الشك في الفعل نفسه وكان غرضك من استفهامك أن تعلم وجوده . وإذا قلت : أأنت فعلت؟ فبدأت بالاسم كان الشك في الفاعل من هو؟ وكان التردد فيه . ومثال ذلك أنك تقول : أبنيت الدار التي كنت على أن تبنيها؟ أقلت الشعر الذي كان في نفسك أن تقوله؟ أفرغت من الكتاب الذي كنت تكتبه؟

تبدأ في هذا ونحوه بالفعل لان السؤال عن الفعل نفسه والشك فيه ، لانك في جميع ذلك متردد في وجود الفعل وانتفائه مجوّز أن يكون قد كان وأن يكون لم يكن .

وتقول : أأنت بنيت هذا الدار؟ أأنت قلت هذا الشعر؟ أأنت كتبت هذا الكتاب؟ فتبدأ في ذلك كله بالاسم . ذلك لانك لم تشك في الفعل انه كان كيف وقد أشرت الى الدار مبنية والشعر مقولا والكتاب مكتوباً؟ وإنما شككت في الفاعل من هو؟ فهذا من الفرق لايدفعه دافع ولا يشك فيه شاك ولا يخفى فساد أحدهما في موضع الآخر"(٤٦) .

---

(٤٥) دلائل الاعجاز ١٠٩ .

(٤٦) دلائل الاعجاز ٨٧ .

٣- **تقديم المفعول به** : وذلك نحو (أمحمداً أكرمت؟) فالسائل يعلم أن المخاطب أكرم شخصاً فهو يسأل : أهو محمد؟ بخلاف ما لو قال : أأكرمت محمداً؟ فإنه يسأل عن أصل الاكرام ، وليس فيه دلالة على أن السائل يعلم أنه وقع إكرام أم لا .

٤- **تقديم الظرف والجار والمجرور**: وحكمها حكم المنصوب فإذا قيل : (أيوم الجمعة سافر خالد؟) فالسائل يعلم أن خالداً سافر ولكنه يسأل أذلك كان يوم الجمعة بخلاف ما لو قال : (أسافر خالد يوم الجمعة) ، فإنه لايفيد ذاك بل هو يسأل عن خالد أسافر يوم الجمعة أم لم يسافر.

ونحوه : (أقبض على محمد في دارك؟) و (أفي دارك قبض على محمد؟) و (أإلى الموصل سافرت؟) و (أسافرت إلى الموصل؟) ففي الجملة الاولى يعلم السائل أن المخاطب سافر ولكنه يسأله عن جهة سفره أهي الموصل. واما في الثانية فإنه يسأله عمّا إذا سافر الى الموصل أم لا.

وقس مالم يذكر من القيود على ما ذكرت كالحال ونحوها .